

## مدينة الإسكندرية القديمة

إن موقع الإسكندرية الفريد على البحر المتوسط وظهيرها وادي النيل والصحراء الشرقية والغربية أتاح لها منذ فجر التاريخ الفرص للتميز وسط مدن العالم، وتزاوجت على أرضها الحضارات المتعاقبة من المشرق والمغرب ومرت بفترات ازدهار وانحسار.

ومن المؤكد أن خروجها من تجارها بقيم إنسانية رفيعة انعكست على شعبها أيًا كان أصله وديانته، ومن المؤكد كذلك أن السكندريين بمخزونهم الحضاري في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية هم أصحاب هذه الإنجازات وبحق جعلت الإسكندرية مدينة لكل العصور.

جاء هذا النص ضمن حيثيات قرار حصول مدينة الإسكندرية عام ١٩٩٩ على جائزة هيئة اليونسكو.

قبل ذلك التاريخ بحوالي أربعة وعشرين قرناً وضع الإسكندر الأكبر حجر الأساس لمدينة الإسكندرية ولكن لم يمهله الأجل ليرى مدينته التي أتمها من بعده بطلميوس الأول. ولعل عبقرية المكان في الإسكندرية قد أوحى لفارسها المقدوني أن يؤسس مدينة يتحاكى بها الزمان، ويتطلع إليها كل شغوف بالمجد ومولع بالشهرة ومقدس للعلم والمعرفة، من خلال جامعته العتيقة ومكتبتها الزاخرة بكنوز المعرفة ومنتدياتها التي شهدت حوار العقول وتواصل الأجيال وتفاعل الحضارات وتباين الثقافات.

قبل أن يسمى الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية بهذا الاسم، كان لقدماء المصريين مستعمرة على البحر المتوسط يطلقون عليها "ر-ع - قدت" (راكوتيس "اليونانية)، وتعني "المدينة التي باركها / أنشأها الإله. وظلت تسمى بهذا الاسم حتى نهاية العصر البيزنطي. ولم تكن راكوتيس قرية صغيرة للصيادين كما وصفها البعض، فباستخدام الكربون المشع يعتقد أنها انشئت منذ ٧٠٠ عام سبقت دخول الإسكندر، وكانت مدينة كبيرة تتكون من ١٢ قرية. كما عرفها الإغريق باسم "حصن الإسكندر" على البحر الأيوني.

وتقع الإسكندرية على لسان من الأرض وهو ذلك الشريط الضيق من اليابسة المحصور بين البحر المتوسط شمالاً وبين بحيرة مريوط جنوباً، أما الميناء فيوجد شمال هذا اللسان حيث أقيمت أرصفة حجرية تسير بمحاذاة هذا اللسان تقريباً؛ حيث تتميز المنطقة التي أنشئت فيها مدينة الإسكندرية بمظهر تضاريسي يتكون من مجموعة سلاسل تلالية جيرية تمتد موازية لساحل البحر.

عند إنشاء مدينة الإسكندرية، كان هناك جسراً صخرياً يسمى الهيبتاستاديوم (وكان يبلغ طوله ميل تقريباً). وقد بنى بين الأرض وجزيرة فاروس مما أوجد ميناءين الشرقي والغربي. وقد بنيت قلعة قايتباي الموجودة حالياً على بقايا جزيرة فاروس عام ١٤٨٠ م.

يحدثنا المؤرخ "استرابون" أنه في لحظة تأسيس مدينة الإسكندرية وعند تخطيط شوارع المدينة استخدمت كميات من الجير المتاح في المنطقة، ولكنه نفذ قبل أن يتم تخطيط كل الشوارع لذا استعان المهندس "دينوقراطيس" بالدقيق الخاص بطعام الجنود لتخطيط بقية الشوارع، وقد استخدم لتخطيط الإسكندرية النمط الهيبودامي وهو عبارة عن شارعين رئيسيين متقاطعين بزواوية قائمة، ثم تخطيط شوارع أخرى فرعية تتوازي مع كل من الشارعين مما يجعل مساحة الأرض أشبه برفعة الشطرنج، وهو التخطيط الذي شاع استخدامه في العديد من المدن اليونانية منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد تم تقسيم الإسكندرية إلى خمسة أحياء حملت الحروف الأبجدية اليونانية الأولى:

A (ألفا)، B (بيتا)، Γ (جاما)، Δ (دلتا)، E (ابسلون)، والتي تمثل الحروف الأولى من خمس كلمات يونانية ترجمتها: "شيدها الإسكندر الملك ابن الإله".

ويتفق المؤرخ "فيلون السكندري" أيضًا مع "استرابون" على أن مدينة الإسكندرية القديمة مقسمة إلى خمسة أحياء

رئيسية:

- ١- الحي الملكي "البروكيون"
- ٢- حي ميدان السباق "الجمنازيوم"
- ٣- حي كوم الدكة "السوما"
- ٤- حي "الموسيون"
- ٥- حي "راكوتيس" (رع-قدت)

وإذا نظرنا إلى الأحياء الخمسة نجد أن حي ميدان السباق هو بطبيعة أرضه أوسع الأحياء، ولو أن ذلك لا يعني أنه كان أكثرها سكانًا، ولا بد أن حي "البروكيون" وهو الحي الملكي قد طغى عليه لتوسيع قصوره وحدائقه العامة، ولتشيد قصور أخرى من تلك القصور التي كانت كثيرة العدد وذلك يتفق مع قول "استرابون":

"إن المدينة تشمل أماكن وحدائق عامة، وقصورًا ملكية تشغل ربع مساحتها بل ثلثها، لأن كل ملك كان يحرص على أن يضيف بدوره جديدًا إلى المباني العامة وكذلك القصور الملكية."  
وبصدد اتساع الحي الملكي يختلف "بلينيوس" في قوله:  
"إن المهندس المدني الذي خطط لمدينة الإسكندرية كان قد أفرد خمس المدينة للمباني الملكية".

ويذكر محمود بك الفلكي وهو جغرافي ومهندس مصري معروف بدأ به في البحث عن مقبرة الإسكندر الأكبر - أن حي "البروكيون" هو الحي الذي يقع به معظم القصور لذا سمي الملكي؛ حيث كان يشمل المنطقة الواقعة بين البحر وبين ما يقع من الشارع الكانوبي بين ميدان "الهيبتاستاديوم" وميدان "الجمنازيوم". وكان يضم أيضًا مراسي السفن ومعبد الأرسينيوم ثم المسرح

والمكتبة والمعابد والمقابر الملكية والضحيق الفاخر الذي أقيم لمواراة جثمان الإسكندر في عهد بطلميوس الثاني "فيلادلفوس" عندما أحضره من منف حسب إحدى الروايات، وظلَّ أباطرة الرومان يعدون هذا القبر مكانًا مقدسًا يحج إليه الناس.

ويروي "استرابون" أن القائد الروماني "أوكتافيان" عندما جاء إلى الإسكندرية وأراد زيارة "السوما" وهو المكان الذي أشير إليه بأنه قد ضم مقابر الملوك البطالمة الأوائل، فقال أنه لم يأت ليرى ملوكًا رحلوا بل أتى ليرى قائدًا خلدت انتصاراته، كما يروي أنه قد قام بفتح تابوت الإسكندر واحتضن مومياءه حتى أتلف عظام أنف الإسكندر تحت اللغائف الكتانية. كما زاره "كاراكالا" بعد ذلك بعشرات السنين.

وقد حدد محمود الفلكي مسافة ٢٣٠٠ م الواقعة بين رأس لوخياس والهيبتاستاديوم (والتي تمتد حاليا من منطقة السلسلة حتى ميدان المنشية)، كمنطقة للقصور الملكية والمباني البحرية وذلك طبقاً لما ذكره الكتاب القدامى حيث كان القصر الملكي الذي عرف باسم "القصر الخارجي" مقاماً فوق رأس لوخياس، أما القصر الرئيسي والقصور الملكية الأخرى الداخلية التي قامت فوق البروز الذي حدده الفلكي تجاه جزيرة أنتيرودس ومبنى التمونيوم بين الشارعين المتقاطعين على الميناء، وشيد على الشاطئ أيضاً المسرح الكبير ومعبد بوسيدون ووراء ذلك معبد قيصريون الذي شيدته كليوباترا السابعة. وتأتي بعد ذلك السوق الكبيرة Agora والأرصفة ومستودعات الميناء. كما شيدت في الحي الملكي "دار الحكمة" وبها مكتبة الإسكندرية القديمة، ودار القضاء والجنمازيوم وزود الحي بحديقة للحيوانات.

وكانت منارة الإسكندرية "فاروس" تشرف على كل هذه المباني بالحي الملكي، وهو المبنى الذي أقامه "سوستراتوس" من "كنيدوس"، وذلك لتأمين البحارة وسفنهم في عرض البحر.

## المراجع

١. سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر، الجزء الرابع عشر، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.
٢. عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، محافظة الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٩.
٣. محمد صبحي عبد الحكيم، مدينة الإسكندرية، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٧.
٤. عزت قادوس، تخطيط المدينة القديمة، تاريخ الإسكندرية، نشأتها وحضارتها منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٢٢.
٥. Strabo, Geographika XVII 8.
٦. محمود الفلكي، الإسكندرية القديمة وضواحيها والجهات القريبة منها التي اكتشفت بالحفريات وأعمال سبر الغور والمسح وطرق البحث الأخرى، دار نشر الثقافة، الإسكندرية ١٩٦٦، ص ١٢٧.